رحيل المعّلم اليوناني ثيو أنجلوبولوس أحد أعمدة "الأكروبولس"

شاعر سينمائي كان هاجسه التاريخ والرحلات والحدود والمنفى

رحيل المخرج والناقد والناشط السياسي اليوناني ثيو أنجلوبولوس في حادث دعس وسط العاصمة أثينا، الأسبوع الماضي، جاء وكأنه يحاكي فصلاً من فصول التراجيديا الإغريقية القديمة، بين إفلاس مالي يشهده البلد، ما وضع مقدرات كيانه وأقدار ناسه بيد سماسرة البنوك، وبين عطب وفساد رجال السياسية ورثاثة حلولهم، آتي غياب أحد أعمدة "الأكروبولس" ليطبق بلعنته على حاضر اليونان بـ "ثالثة الأثافي". والأخيرة، ليست بالجديدة على الاستعمالات اليومية هناك، وعبر حركة تقوم بشبك الإبهام والسبابة والوسط لأصابع اليد ورميها بوجه الآخر، كإيماءة تعبير عن شتيمة قاسية. لعنة تحتاج الى زمن طويل للخروج من استحقاقاتها السياسية والمالية، مقابل زمن أطول بتكريس مخرج سينمائي له حضور وسيرة مترعة في الوسط السينمائي الأوربي مثل الأستاذ ثيو أنجلوبولوس.

لندن- فيصل عبد الله

بعد دراسته القانون في جامعة أثينا، وإكماله الخدمة العسكرية، وجد أنجلوبولوس نفسه غير قادر على إكمال دراسته في جامعة السوربون. فقرر الانخراط في "المعهد العالي للدراسات السينمائية" الباريسي ذائع الصيت، لكنه سرعان ما طرد منه لكونه لم يلتزم بقواعد مدرسيه الصارمة. قفل راجعاً إلى بلاده وليعمل ناقدا سينمائيا في صحيفة يسارية كانت تصدر في أثينا قبل أن يغلقها نظام دكتاتورية العسكر عقب انقلابهم في عام ١٩٦٧. ما دفعه إلى العودة ثانية إلى باريس ليستقر بها على مدى العقود الأربعة التالية.

تلك العودة، وما صاحبها من خيبات على المستويين الشخصي والعام، حددت خياراته القادمة ونوع الصنيع السينمائي الذي أراد. وكان من أولى ثمارها شريطه «إعادة البناء» العام ١٩٧٠، والذي عرض في مهرجان سالونيك وفاز بجائزته الكبرى، ومن بعد بجائزة جورج سادول العام ١٩٧١. ولعل ذلك الشريط قد مهد الى وضع البصمة الأولية على أسس السينما اليونانية الجديدة، تلك التي ظلت حبيسة راهنها السياسي المعقد، والهزات الاجتماعية التي واجهت هذا البلد لفترة طويلة من الزمن. كان ذلك الفيلم، ايضاً، بمثابة تمرين فني لانكباب المخرج على انجاز مشاريع سينمائية طموحة، ابتداء من «ثلاثيته التاريخية» التي دشنها بفيلم «أيام الـ٣٦» (١٩٧٢) ثم فيلم "الممثلون الجوالون" (١٩٧٥)، وفيلم "رجال الصيد" (١٩٧٧) كان الخاتمة. تدور هذه الثلاثية حول موضوع واحد تقريباً، وهو الأحداث والنقاشات السياسية الحامية التي عاشتها اليونان على مدى العقدين السابقين، مروراً بديكتاتورية ميتاكاكس ثم الحرب الأهلية وما بعدها. إذ وجد انجلوبولس نفسه معنياً بنبش ذلك التاريخ بكل ما يحمله من قساوة وفظاعة أفضت إلى انكسار وتشظي الأحلام الكبيرة، لتحل محلها جروح عميقة في نفوس من حملوا مشروعاً سياسياً، خصوصاً هزائم اليسار السياسي وتأثيرات ذلك في أنصاره وفي البلد بشكل عام.

استعان انجلوبولس في تجربته السينمائية بالتاريخ الذي كان شفيعه في عكس رؤيته وتأصيل خطابه الفني وتأملاته الفلسفية. ولكن أي تاريخ؟ لقد عرف، وهو المسكون بحسن الفنان صاحب القضية، كيف يزاوج بين تاريخه الشخصي القريب باعتباره شاهداً حياً على تقلباته، وآخر غير شخصي كونه وريث تقاليد المسرح والتراجيديا الإغريقية القديمة بكل ما تحمله من ملاحم وأساطير، ليوظفها بشكل باذخ في أفلامه القادمة. صحيح أن الثلاثية المشار إليها سالفاً، مكّنت انجلوبولس من حصد جوائز مهرجانات سينمائية عدة وحققت له سمعة عالمية. إلا أنها، وهذا هو الأهم برأينا، عمقت من فهمه ونضجه الفني، ونجد ذلك واضحاً في شريطه الملحمي "الاسكندر الكبير" (١٩٨٠) الذي حاز جائزة الأسد الذهبي في مهرجان فينيسيا للعام نفسه، إذ يضع المخرج إصبعه على تساؤل عصي يدور فحواه حول قيمة التاريخ، وكم يمكننا أن نستفيد من دروسه إزاء الانعطافات التاريخية الحاسمة؟ وكان هذا الفيلم بداية مرحلة جديدة من حياة المخرج عرفت بفترة المادية الجدلية.

لكن الصمت والتأمل استحوذا عليه هذه المرة، ليكرس لهما ما اصطلح على تسميته بـ «ثلاثية الصمت». ففي فيلم "رحلة إلى سايثرا" (١٩٨٤) نجد أن ثقل التاريخ الشخصي والعام يقود إلى المنفى، وبالتالي تتسع مساحة الصمت حول أحاسيس الأحياء المرة. الرجل الكبير في هذا الفيلم يواصل رحلته من دون أن يعرف أين تنتهي وأين تبدأ من جديد، وحتى بيته القديم يمر به كعابر سبيل. انه يلوذ بتاريخه متنقلاً من منفى إلى منفى، انه ضياع في الزمان والفراغ. بينما يمعن بطل "النحال" (١٩٨٦) أكثر في صمته، فيفقد جسده وحبه في آن. رحلته تكتمل بصمت بيولوجي وإيديولوجي وروحي. وعلى الموال نفسه، ينسج في شريطه "عراء في ضباب" (١٩٨٨) حول معنى الصمت وتأثير الطبيعة. وفيه نتابع رحلة طفلين يتيمين إلى مكان غير محدد في ألمانيا، وعندما يصلان إلى نهاية الشوط، سيدركان أن رحلتهما وفّرت لهما مجال كسر الصمت الذي تقاسماه طيلة الرحلة، وأنهما قادران على التخاطب والبناء وإعادة خلق عالم جديد.

أنجلوبولوس

عُرف انجلوبولس في أفلامه أعلاه، بأسلوب سينمائي مميز يعتمد على اللقطات المتوسطة والطويلة التي تولد الإحساس بالتلقائية، وغايته من ذلك إشباع اللقطة بكل عناصرها الفنية الضرورية والحفاظ على إيصال رسالتها للمشاهد. وهذا ما ساعده في تناول ومناقشة أفكار كبيرة، ربما لا يتسنى لمخرج آخر التعامل معها. ضمن هذا المنحى جاء شريطه "الخطوة المعلقة لطائر اللقلق" (١٩٩١)، الحاصل على جائزة سعفة كان الذهبية، ليناقش عبر لقاء صحافي تلفزيوني اختفاء سياسي - قام بالدور الممثل الإيطالي القدير مارسيللو ماسترواني - عوالم الهجرة غير الشرعية والنفي والموت والغربة والمستقبل المبهم للاجئين. وكان بمثابة قراءة شعرية بصرية لمفهوم الحدود السياسية والإنسانية التي تفصل بين الإرادات البشرية.

بالمقابل، يجعلنا نتساءل عن جدوى وجود الحدود؟ ولماذا تقسم؟ ولماذا لا يمكن للشعوب أن تتنقل وتتخاطب من دون معوقات وأحكام مسبقة؟ شكلت هذه الأسئلة عصب الفيلم، تلك التي وظفها في شريطه المهم "تحديقة عوليس"، الحائز على سعفة كان الذهبية وجائزة النقاد للعام ١٩٩٥. ويدور حول عودة مخرج سينمائي يوناني من أميركا الى مسقط رأسه بعد غياب دام ٣٥ عاماً (يؤدي الدور الممثل الأميركي القدير هارفي كيتل) بحثاً عن مراجع لفيلمه. لكن السبب الحقيقي وراء عودته كان هاجس البحث عن ثلاث بكرات سينمائية صورها الإخوان ماناكياس في بداية القرن. وتقوده هذه الرحلة عبر بلدان البلقان، مروراً بألبانيا ومقدونيا وبلغاريا ورومانيا وبلغراد وأخيراً سراييفو.

- ومع أن الفيلم يتجاوز توصيفات هذه الأماكن، فإن غاية المخرج كانت واضحة، وهي اشراكنا كمشاهدين في رحلته المفتوحة تاركين مخاوفنا وراءنا لأننا في النهاية سنكون أكثر معرفة وحكمة. يستعين انجلوبولس في تعميد رحلة بطله بمقاطع شعرية منتقاة بدقة لشعراء معروفين. ذلك انه أراد لفيلمه ان يبحث في موضوعين في آن: الحروب الأهلية والاثنية التي تشهدها بلدان البلقان خصوصاً على جبهة يوغوسلافيا السابقة، والاحتفاء بالسينما في ذكرى مئويتها. وشاغله هو عالم اليوم، بحروبه وويلاته وما يجر ذلك من انتزاع قسري للحيوات الإنسانية، الحلم والمنفى والحدود والاختلافات الثقافية. في حين جاء شريطه "الأبدية ويوم واحد"، جائزة سعفة مهرجان كان الذهبية للعام ١٩٩٨، ليضرب على هاجس من خانتهم الأحلام والوعود بعالم قائم على العدل والإنسانية، وعبر الكسندر الشاعر (برونو غانز) الذي يعاني من جفاف روحي وأزمة إبداع سببها جمع نثار قصيدة قديمة كتبها شاعر آخر في القرون الوسطى. لكن عالم الوحدة التي يعيشها سرعان ما يتكسر عند اقتفائه صبياً ألبانيا مهاجراً يعمل بطريقة غير مشروعة، واحتضانه بعيداً عن أعين الشرطة مما قاده الى عالم خفي عماده تهريب المهاجرين والمتاجرة ببيع الأطفال إلى الأوروبيين.

× ولكن هل يمكن القول أن العيش في المنفى هو الحل؟

إن تجارب المنفيين تقول، إن اللحظة التي يقرر فيها المنفى العودة الى بلده والعيش بين أبناء وطنه، والتمتع بالتحدث بلغتهم يجد ان الكلمات عاجزة عن تمثل الخسائر والجروح، ويكتشف ايضا أن الكلمات ما عادت سهلة بفعل سنوات الصمت.

- كنت قد التقيت الأستاذ أنجلوبولوس قبل حوالي العقدين عقب عرض شريطه "تحديقة عوليس" في العام ١٩٩٦، أقتبس بعض مقاطع ما دار بيننا.

× تبدو رحلة بطلك (كيتل) قريبة من رحلة مواطنك الشاعر كافافي الذي استعنت به في فيلمك، خصوصاً قصيدته (أيثاكا)، فما هي أوجه الشبه والاختلاف بين الرحلتين؟

- ثمة تقارب بين الرحلتين، وكلانا نهل من الميثولوجيا. ولكن رحلة كافافي لم تكن غايتها الوصول، بل تبقى مفتوحة دائماً لبداية جديدة وربما نهاية، وهنا تكمن فكرتها الأساسية، أنها توفر لي ممكنات كبيرة لمعرفة النفس والآخرين.

× ولكن كيف تسنى لك تصوير هذه الرحلة في بلدان تتآكلها الحروب والنزاعات؟

- زرت هذه البلدان قبل بداية التصوير، وكنت الى حد ما على معرفة بالوقائع اليومية، وهذا ما جعلني في بعض الاحيان أتعامل مع بعض المشاهد بطريقة مختلفة. فعلى سبيل المثال، أردت انهاء التصوير في سراييفو ولكن في ذلك الموقع سقطت طائرة كانت تنقل عدتنا، مما حتم علينا ان ننتظر لمدة اسبوع لكي يفتح مطار سراييفو. لقد خربت الحرب كل شيء في سراييفو وكان علينا ان نغير من خططنا. وحتى السيناريو الأصلي جرى عليه بعض التغييرات، اذ كان هناك عدد كبير من نصب لينين الصغيرة استعضنا عنها بنصب واحد عملاق طوله ٢٠ متراً كونه يفي برمزية الغرض، خصوصاً عند نقله عبر نهر الدانوب.

× هل يمكننا اعتبار الفيلم كتأريخ للبلقان؟

- الفيلم هو بمثابة تحية للأخوين ماناكياس اللذين ارتحلا عبر البلقان. انه تحديقة مخرج في نهاية القرن العشرين لمغامرة الأخوين في بداية القرن وما حملته من معان.

× هل تعتبر أن "ثيمة" الفيلم نوعاً من الضرب في الوهم؟

- على العكس من ذلك انه مؤشر للفشل، فالقرن الحالي بدأ بسقوط سراييفو التي أشعلت شرارة الحرب العالمية الأولى. انه فشل للأوروبيين والعالم كوننا لحد الآن لم نتعلم من دروس التاريخ. وإذا لم نتعلم فإننا سنرتكب الأخطاء والحماقات نفسها.

× بطل الفيلم يمر ببلدان تمزقها الحروب ولكننا لا نشاهد عنفها ودمويتها؟

- إنني ضد العنف في السينما، وبعض مشاهد العنف والدم يمكن تنفيذها غرافياً والحصول على النتائج الفنية نفسها. ليس هناك تبرير لمشاهد العنف إذا كانت غايتها العنف بذاته. وإذا كنت تسأل عن مشهد الإعدام في الضباب حيث نسمع طلقات نارية من دون أن نرى من قام به، فإنني أردت أن اجعل مرتكبه غير محدد الهوية من اجل إدانة كل الأطراف المساهمة في هذه المجزرة. إنني على خلاف ما تحويه أفلام السينما الأميركية من مشاهد عنف، ذلك أنها تريد تشكيل حقائق وأوهام تنفرد فيها الولايات المتحدة.

فيلم "الفنان" لآزانافيسيو.. تناغم تام

ترجمة: عباس المفرجي

هذا التقدير الفطن والمؤثر لعصر السينما الصامتة
هو واحد من أكثر الأفلام الذي يقدم متعة صافية
التقدم في العمر والكبت النفسي يجعلاني الآن عرضة للبكاء على الأفلام. لكن ستكون هذه أول مرّة أذرف فيها دموع الفرح. إنها ليست مبالغة، فهذا يحدث في كل مرّة أشاهد فيها اللقطات الأخيرة من هذا الفيلم الرائع والفكه والرقيق على نحو موجع، للمخرج الفرنسي ميشيل آزانافيسيو، وهو فيلم عن عصر الأسود والأبيض الصامت لهوليوود، والذي هو نفسه بالأسود والأبيض، وصامت - أو تقريبا صامت. هناك بضع كلمات منطوقة، وموسيقى اوركسترالية متواصلة وضعها لودفيك بورس.

مذ شاهدت فيلم "الفنان"، في عرضه الأول في مهرجان كان العام الماضي، أصبحت واحدا من جمع غفير عالمي من المبشرين الثرثارين، والخوف من التسبب برد فعل سلبي فقط هو الذي يثنينا عن المضي في الحديث أكثر عن فنيته. الكوميديا اللامبالية والخليط من القطع الفنية المتنوعة مرهقان بإضاءة مبهجة ؛ قصة الغرام رقيقة، ومع هذا مشبوبة العاطفة على نحو غير متوقع. إنها قصة حب لاهية تماما ومعجزة من التسلية، وتقول على نحو غير متوقع الشيء الكثير عن الكبرياء الذكوري والتربية العاطفية. إنها حتى تلمع، بطريقتها اللامبالية، الى مسألة ما إذا كان فن السينما أنقى حين كان صامتا. القصة هي تنويع على ثيمة من فيلم "نجم يولد". نجم أفلام أكبر سنا، مستقر يساعد إمرأة شابة موهوبة في طريقها الى المجد، فقط ليرى مسيرته الفنية تنحدر حين تصيب هي نجاحا. إنها مغازلة يكون فيها الرجل هو المعلم، المرشد والعاشق؛ في "الفنان"، يكون الحب مستحيلا بسبب القدر وإنقلاب الأحوال. الإكتمال الجسدي هو غير مهم: الصفقة المتشابكة للنفوذ والشهرة هي أكثر إثارة من الجنس.

إنه العام ١٩٢٧، وجورج فالنتاين، الذي يلعب دوره جان ديجاردان، هو نجم أفلام صامتة مفعم بالحياة وسخيف على نحو محبب، ذو وسامة مفرطة وجفون طويلة

وشارب كأنه خطّ بقلم رسّام كارتون. علامته الفارقة هي الظهور على الشاشة دائما برفقة كلبه الصغير المحبوب، أوغي، وهو أيضا رفيقه خارج الشاشة، داهية وشجاع مثل لاسي. فالنتاين، بالطبع، هو شبيه صغير بردولفو فالنتينو، وربما يبدو ذلك أكثر وضوحا في أدائه دور مغامر غامض، وهو أيضا شبيه بجين كيلي، في بسمته التي يظهر بها أسنانه. وهو أيضا، بقبعته وربطة عنقه البيضاء، كثير الشبه بموريس شيفالييه.

فالنتاين يرتقي في لعبته الى أعلى درجة، حين نراه منتشيا في حفل إفتتاح فيلمه الجديد "علاقة حب روسية"، وهو قصة محرّفة سياسيا، يظهر فيها مؤديا دور طيّار وجندي يقاتل من أجل إستقلال جورجيا. الأشرار الروس يشاهَدون وهم يعذبون شخصيته في المشهد الإفتتاحي، بأقطاب كهربائية مثبتة على جمجمته، محاولين أن يرغموه على الكلام. لكنه لن يتكلم، وبالتالي يهيأ هذا المشهد للصلابة، التكتم، قابلية السقوط بيد الأعداء والخوف من المستقبل. في الخارج، وسط الحشود المبتهجة التي جاءت لحضور الفيلم، تجازف فتاة ساذجة صغيرة، بطريقة ما، بعبور صف من الشرطة، وتنتهي الى تقبيل فالنتاين على خده، الأمر الذي يبهج المصورين الفوتوغرافيين.

هذه الفتاة هي بيبي ميللر، التي تؤدي دورها الممثلة الارجنتينية بيرينيس بيجو، والتي تظهر أيضا مع ديجاردان في فيلم آزانافيسيو "القاهرة عش الجواسيس" (٢٠٠٦). مغازلتها له، وإفتتانها به، يكسبانها حظا سعيدا مع السينما، إذ تنجح هذه الفتاة الصغيرة بلفت نظر منتج جورج، آل زيمر (جون غودمان)، وكذلك سائقه الداهية المخلص كليفتون (جيمس كروموبل). لكن جورج نفسه ليس مخادعا ولا أخلاقيا؛ إنه متزوج، وإن يكن غير سعيد، وبذلك مثل هذه العلاقة لن تكون. وفي حين تتقبل بيبي، بشكل حاسم، تكنولوجيا جديدة في الأفلام تشتمل على كلام كثير، يرفضها هو بتشكي ويعتبرها مجرد بدعة. ترتقي هي أعلى سلم النجاح، تاركة جورج يتجه بعناد نحو الأسفل: رجل ولى زمانه.

كل شيء حول "الفنان" يقترب من من الأتقان كما لم يفعل فيلما من قبل: بوجه خاص مشاهد بداية الفيلم حيث نرى تعاقب لقطات لمشهد واحد يرقص فيه فالنتاين رقصة سريعة مع بيبي في حفلة رقص في فيلمه "اعتذار الجنتلمان". في البدء يقومان بحركات خرقاء، ومن ثم يفسدان تصوير المشهد بخروجهما عن النص والضحك في كل مرة أكثر وأكثر على نحو لا يقاوم. وعندئذ يتم التخلي عن المشهد، لأنهما يأخذان بالنظر الى بعض بجدية مفرطة، مدركان شيئا مهما. فهما في هذه اللحظة يقعان في الحب.

جورج نفور، على نحو غريب، من الكلام. زوجته، تتوسل إليه أن يتحدث معها عمّا أصاب علاقتهما من فتور، لكنه لن يفعل، وكبرياؤه بلا شك سوف لا يسمح بمناقشة إمكانية بدء مسيرته الفنية من جديد في الثرثرة، حيث فقدَ عرشه. لكن الأمر لم يكن مجرد هذا: جورج، بطريقته المشوّشة العجولة، يعتقد أن الثرثرة ليست سوى جهل مطبق، وهو فنان. الصمت هو فن: ما يهم هو المشهد ونشوة المشاهدة. والفيلم ينحاز، على نحو دونكيخوتي، الى جانب جورج لكونه صامتا، مع عناوين فرعية للحوار حتى النهاية - حين يتفوه جورج بشيء، فإنه يكشف عن سبب آخر لمعارضته أن يكون مسموعا، وأيضا حول الجذور الاوربية لهوليوود الامريكية.

يا له من فيلم مدهش: واحد من تلك الأفلام التي تتوق إلى مشاهدتها المرة تلو المرة، برغم الخوف من إفساد التجربة. إنه واحد من أبلغ الأفلام التي يمكن تخيلها.

(سينما من أجل السلام) ترشّح "الرحيل من بغداد" لجائزتها السنوية

رشحت مؤسسة "سينما من اجل السلام" العالمية في حفل توزيع جوائزها في دورته الحادية عشرة، فيلم "الرحيل من بغداد" للمخرج العراقي قتيبة الجنابي ضمن الأفلام الأهم التي تناولت الدراما بروح وثائقية، وذلك ضمن منافسة الترشيحات الأخيرة للمؤسسة، والتي تعد من النتاجات السينمائية المهمة على الصعيد العالمي.

ومن المقرر ان يقام الحفل الختامي الكبير لتوزيع الجوائز في الثالث عشر من شباط الجاري، وتحضره شخصيات فنية وإبداعية عالمية، تمنح الحفل بعداً عالمياً، خاصة في الأنشطة التي تتفاعل في مساحة مؤسسة "سينما من اجل السلام" والأفلام المرشحة لجوائزها.

ويستقبل الحفل، الذي انطلق عام ٢٠٠٢ في كونزرثوس بمدينة برلين الألمانية، النتاجات السينمائية العالمية الأبرز التي تعزز السلام والديمقراطية وحقوق الإنسان والتعايش بين مكونات البشر.

وقد استضاف الحفل على مدار الأعوام الماضية العديد من الشخصيات السينمائية العالمية والتي عززت بحضورها أهمية دور السينما والسينمائيين في الحد من الحروب والاقتتال وترسيخ السلام العالمي ورفض كل أشكال الهيمنة. ومن الضيوف الذين شاركوا في احتفالات الأعوام الماضية الفنان داستن هوفمان وجورج كلوني وريتشارد غير وليوناردو ديكبريانو وشارون ستون.. العديد غيرهم.

ويعتبر ترشيح الأفلام لهذا الحفل خطوة في غاية الأهمية لصانعي الأفلام، إذ تتم عادة اختيار الأفلام المرشحة للجوائز وفقاً لأهميتها وأفكارها وإمكانيتها لشحذ أفكار المتلقي نحو القضايا التي تطرحها.

ويستعرض فيلم "الرحيل من بغداد" حالة الخوف الذي طارد العراقيين إبان النظام السابق، من خلال حكاية مصور فوتوغرافي خاص برأس السلطة، هرب إلى المنفى بعدما تم القبض على ابنه بتهمة الانتماء إلى حزب يساري معارض. وقتله في ما بعد.

يذكر أن الفيلم حصد العديد من الجوائز أهمها الجائزة الأولى في مهرجان الخليج وجائزة أفضل فيلم بريطاني مستقل للعام ٢٠١١، إضافة إلى جائزة خاصة من مهرجان أوكرانيا السينمائي الأخير في العام الماضي ٢٠١١.